المجلة الدولية للإتصال الإجتماعي
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
ISSN: 2437 – 1181
EISSN: 2710-8139

المجلد 09 / العدد:03 (2022)، ص209 –ص 222

تحديات التكوين البيداغوجي في علوم الإعلام والاتصال بين الكفاءة المطلوبة وإكراهات الأزمة

The challenges on pedagogical training in the information and communication sciences between the required competence and the constraints of the crisis

دراع عبدالله *

جامعة قسنطينة 3 . صالح بوبنيدر . الجزائر ، abdallah.draa@univ-constantine3.dz

تاريخ الاستلام: 2022/08/09 تاريخ القبول: 2022/09/10 تاريخ النشر: 2022/09/30

Doi; 10.53284/2120-009-003-013

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى حصر مختلف التحديات المعرفية والسوسيو ـ اقتصادية، التي تحيط بالعملية التكوينية في علوم الإعلام والاتصال، وذلك من خلال دراسة تأثير هذه التحديات على المنتج العلمي والمعرفي، وعلى عملية التكوين في حد ذاتها، ناهيك على نوعية الأداء التعليمي لدى الطالب الجامعي في التخصص المذكور، مع محاولة تشخيص واقع التعليم الجامعي راهنا في علوم الإعلام والاتصال، والسعي لإيجاد بعض الحلول والآليات التي تسمح بتجاوز حالة التردي الذي يتخبط فيه نتيجة الأزمات المتعددة الأشكال التي تعترضه، خاصة خلال السنوات القليلة الأخيرة.

كلمات مفتاحية: التحديات ـ التكوين البيداغوجي ـ الكفاءة المعرفية ـ الأزمة الاقتصادية ـ واقع المؤسسة الإعلامية

Abstract:

This study aims to identify the various cognitive and socio-economic challenges that surround the training process in media and communication sciences, by studying the impact of these challenges on the scientific and cognitive product, and on the training process itself, not to mention the quality of educational performance of the university student in the specialty The aforementioned, with the attempt to diagnose the reality of university education nowadays in the media and communication sciences, and to seek to find some solutions and mechanisms that allow to overcome the deteriorating situation in which it is floundering as a result of the multifaceted crises facing it, especially during the past few years.

Keywords: challenges , pedagogical training , cognitive product , economic crisis , the reality of the media organisation .

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

يجمع عدد من الدارسين على أن ثمة اختلالات تعيشها منظومة التكوين في مجال التعليم الجامعي والعالي، انعكست سلبا على الأداء والمردود والنجاعة والكفاءة، سواء من قبل الأستاذ أو الطالب، وتعد عملية التكوين في مجال علوم الإعلام والاتصال، مرآة عاكسة لهذه الاختلالات التي تعرفها الجامعة عموما، ففضلا عن حداثة هذا التخصص مقارنة بعلوم أخرى أو تخصصات وفروع، فإن النقائص التي سجلت ومازالت مسجلة لحد الآن، سواء على مستوى المقررات أو المناهج او حتى فلسفة التكوين بحد ذاتها، ساهمت بشكل واضح في حالة عدم الرضا المسجلة من قبل المعنيين، أساتذة وباحثين وطلبة، وحتى مسؤولين ومسيرين، سواء في الدوائر العليا أو القاعدية.

إن المطالب المرفوعة من قبل الأسرة الجامعية عموما بضرورة مراجعة الكثير من جوانب عملية التكوين في علوم الإعلام والاتصال، تعكس بوضوح المأزق الذي بلغته المنظومة التكوينية في هذه التخصص العلمي، ما يفرض طرح الكثير من التساؤلات بخصوص الأسباب والعوامل التي أدت إلى هذا الوضع، هل الأمر يتعلق بالعملية التكوينية في حد ذاتها، أم بالعناصر المكوّنة لهذه العملية، ونقصد هنا تحديدا الأستاذ والطالب، أم أن ثمة مشاكل وإكراهات خارجية، لها علاقة مباشرة بالتخصص، وتؤثر سلبا على أداء الأستاذ وكفاءته من جهة، وكفاءة الطالب واستعداده ودافعيته من جهة أخرى، وحينما نتكلم عن هذه المشاكل والإكراهات الخارجية، فإننا نعني بداهة المؤسسات الإعلامية والظروف السوسيو . اقتصادية التي تعيشها.

إن هذه المؤسسات الإعلامية تشكل المتنفس الأساسي لاستقطاب الخريجين من أقسام وكليات علوم الإعلام والاتصال، وكلما كانت هذه المؤسسات ناجحة إعلاميا وتجاريا واقتصاديا، كانت لها القدرة على استيعاب الأعداد الكبيرة من حاملي الشهادات وتوظيفهم وتوفير فرص الشغل لهم، وكلما كانت هذه المؤسسات فاشلة أو عاجزة أو حتى مفلسة، كانت بعيدة عن تحقيق آمال وتطلعات الآلاف من هؤلاء الخريجين، وبالتالي سينعكس ذلك سلبا على أداء الطلبة وكفاءتهم المعرفية ودافعيتهم النفسية، لأنهم في هذه الحالة يدركون أن دراستهم الجامعية لن يكون لها معنى، طالما أن سوق الشغل في المستقبل لن يكون قادرا على استيعابهم وبالتالي توظيفهم، ما يساهم سلبا . كما هو الظاهر حاليا . على نوعية الأداء وطبيعة التكوين، ولعل من هذا المنطلق اختارت هذه الورقة التطرق لموضوع ذا صلة وثيقة بهذه الإشكالية، فسعت إلى دراسة "تحديات التكوين البيداغوجي في علوم الإعلام والاتصال بين الكفاءة المطلوبة وإكراهات الأزمة"، محاولة الإجابة على التساؤلات التالية:

. ما هو واقع المنظومة التكوينية في ميدان علوم الإعلام والاتصال حاليا؟

. ماهي العوامل الذاتية التي تؤثر سلبا على العملية التكوينية في علوم الإعلام والاتصال؟

. ما هي المشاكل والإكراهات الخارجية، التي تؤثر سلبا على أداء الأستاذ وكفاءته من جهة، وكفاءة الطالب واستعداده ودافعيته من جهة أخرى؟

. كيف تساهم الظروف السوسيو . اقتصادية الصعبة التي تعيشها المؤسسات الإعلامية، في نقص الكفاءة والجودة في العملية التكوينية في مجال علوم الإعلام والاتصال؟

إن كل هذه التساؤلات تبرز لنا بوضوح إشكالية هذا الموضوع، التي ستسعى الورقة الحالية للإجابة عليها، من خلال التعرض لتاريخ وواقع العملية التكوينية في ميدان علوم الإعلام والاتصال، والإكراهات المختلفة التي تعترضها، والتي أثرت بشكل مباشر في نوعية مخرجاتها، بما أدى إلى تشكيل حالة عدم رضا من طرف جميع الفاعلين في الأسرة الجامعية الوطنية، ما تطلب التفكير في محاولة إيجاد الحلول لها، واقتراح الآليات والميكانيزمات التي يتم تجاوزها بها.

1. التكوين في علوم الإعلام والاتصال بالجامعة الجزائرية:

إن المعرفة الواعية لتاريخ نظام التكوين الجامعي في أي مجتمع تشك لأداة أساسية للباحثين، تمكنهم من فحص خصائص ذلك النظام، ليس فقط خلال الحقب التاريخية، بل في الوقت الحاضر، كما تمكنهم من الوقوف ولو بشكل مبدئي على جذور الأزمة التي يعيشها النظام التعليمي وحقيقته، ولذلك يصبح من الضروري تتبع المراحل التي مر بها التكوين الجامعي في الجزائر ووضعيته الحالية نتيجة انعكاس الظروف الاقتصادية والاجتماعية المختلفة باختلاف أشكال السلطة التي تداولت على الحكم (بن نونة نادية، 2018) (1).

تجسد الاهتمام الرسمي بتكوين مختصين في مجال الصحافة والإعلام، لتتولى مهمة تشكيل الرسالة الإعلامية وتبليغها وإيصالها للمواطنين، ضمن سياسة وطنية شاملة في ذلك الوقت، بأوضح صورة منذ السنوات الأولى من الاستقلال، في المجهود الجبار الذي بذل على مستوى توفير البنية التعليمية والتكوينية التي من شأنها إعداد وتكوين الإطارات والكفاءات في كل الميادين ومن بينها طبعا الصحافة والإعلام، وفي توسيع الهياكل القاعدية للتعليم العالي عبر التراب الوطني، وخاصة المعاهد المختصة والجامعات، (جامعات الجزائر، وهران، وقسنطينة، بالإضافة إلى جامعات تكنولوجية).

فقد شهد المخطط الرباعي الثاني إنشاء جامعتين تكنولوجيتين في الجزائر ووهران، وجامعة العلوم الاجتماعية بالعاصمة، ومعهد متعدد التقنيات لطلبة الشعب العلمية المتحصلين على شهادة البكالوريا، وقد أعطيت الأولوية للتعليم التقني نظرا لحاجة القطاعات المستخدمة للإطارات الفنية (حسن بهلول، 1999، ص229) (2)، وقد قدر الحجم الاستثماري المعتمد لقطاع التعليم العالي والبحث العلمي بـ21.08 مليار دينار جزائري، مع حرص الدولة على تنمية القطاع من جديد حتى يساير التطور السريع في المجال الاقتصادي، وفي نهاية 1984 حدد الخماسي الأول النتائج الكمية للإنجازات من خلال العمليات التجهيزية للمؤسسات القديمة، وإنشاء أربع (04) جامعات، وعشرة (10) مراكز جامعية، وخمس وحدات بيوطبي (حسن بهلول، 1999، 81). (3).

هذا على المستوى العام، أما فيما يخص قطاع الصحافة والإعلام وهو ما يهمنا في هذا الخصوص، فقد تم اعتماد سياسة تكوينية بإنشاء أول مدرسة وطنية عليا للصحافة وعلوم الإعلام سنة 1964، وقد جاء ذلك تنفيذا للمرسوم الصادر بالجريدة الرسمية الجزائرية بتاريخ 21 ديسمبر 1964 (أحمد حمدي، 2015) (4)، وفي سنة 1984 تم تأسيس معهد لعلوم الإعلام والاتصال واستمر حتى 1998، حيث بدأ تدريس هذا التخصص ينتشر بين مختلف جامعات الوطن، بالنظر إلى زيادة الطلب عليه من

قبل الدارسين الجدد من جهة، وسياسة الدولة الجزائرية في توسيع قطاع التعليم العالي من جهة ثانية (ورقة بحثية) (5)، ومن حينها والوزارة الوصية تعمل على فتح المزيد من أقسام علوم الإعلام والاتصال، ثم بعدها الكليات تزامنا مع تزايد فتح الجامعات في مختلف ولايات الوطن، فشكّل ذلك طفرة كبيرة في مجال التكوين الأكاديمي العالي في ميدان علوم الإعلام والاتصال، أملا في تخريج أكبر عدد من الطلبين المختصين، خاصة مع تبلور الأهمية الكبيرة جدا لهذا التخصص في الحياة راهنا ومستقبلا، سياسيا واجتماعيا وثقافيا وحتى استراتيجيا.

لكن ما يؤخذ على هذه النقلة النوعية في مجال التكوين الجامعي بالنسبة لعلوم الإعلام والاتصال، هو تركيزه مع مرور الوقت على الكم على حساب الكيف، فظلت طرق التدريس فيه تقليدية، كثيرا ما تعتمد على التلقين، فيما اشتكت المقررات والمناهج من كثرة التكرار والحشو، والأنكى من كل هذا، هو التركيز على النظري أكثر بكثير من التكوين التطبيقي والميداني، ما أفرغ العملية التكوينية برمتها من محتواها، وأفقدها جودتها وكفاءتها، وأثر سلبا على نوعية التحصيل، وكفاءة المتخرجين، الذين وجد الكثير منهم صعوبات جمّة في فرض أنفسهم في سوق العمل، ما زهّد القائمين على المؤسسات الإعلامية المنوطة بها استيعاب وتوظيف هؤلاء المتخرجين، في القيام بهذه المهمة لقناعتهم أن المنتوج المتوفر لا يستوفي المعايير المطلوبة، ولا يتوفر على الإمكانيات اللازمة.

2. تحديات التكوين الجامعي في علوم الإعلام والاتصال:

أصبح الوضع الذي آلت إليه المنظومة التكوينية في مجال الإعلام والاتصال بعد مرور أكثر من 56 سنة من فتح أول مدرسة عليا للصحافة، يمارس دورا طاغيا على أهل الاختصاص لتدارك هذا الوضع وتجاوزه، بما يعيد للعملية التكوينية جودتها ونجاعتها وكفاءتها، لكن شريطة معرفة التحديات التي تواجهها معرفة صحيحة، والعمل على مجابهتها بالأسلوب العلمي، والبحث الأكاديمي، والإدراك المنفتح على إكراهات الداخل كما الخارج.

إن أهم التحديات التي أضحت تواجه بالفعل المنظومة التكوينية في مجال علوم الإعلام والاتصال، والتي تشكّل العقبة الأساسية في وجه تطورها ورقيها، بما يخدم الأهداف الأساسية التي تصبو إلى تحقيقها الجامعة الجزائرية عموما، وأقسام وكليات علوم الإعلام والاتصال بشكل خاص، يمكن أن نقسمها إلى نوعين اثنين: داخلية أو ذاتية، وخارجية، وحينما نتحدث عن التحديات الذاتية، فإننا نعني هنا الفلسفة العامة للتكوين والأهداف المرجوة منه، وسنتطرق هنا بالأخص لجملة من المظاهر أو التحديات كالكفاءة العلمية والمعرفية، سواء من جانب الأستاذ أو الطالب، ثم يأتي بعدها الاهتمام بالكم على حساب النوع، ثم الاهتمام بالجانب النظري في عملية التكوين والبعد عن الجانب التطبيقي، وأخيرا الانفصال الواضح للجامعة عن عالم الشغل، أو لنقل عن المحيط الاجتماعي والاقتصادي، أما عن التحديات الخارجية، فإننا نعني بالأساس واقع وحال سوق الشغل، أي الظروف السوسيو . اقتصادية التي تعيشها معظم وسائل الإعلام الوطنية حاليا، باعتبارها تشكل المصدر الأوحد تقريبا لاستيعاب وتوظيف الآلاف من خريجي تخصص الإعلام والاتصال، وعلاقة ذلك بنجاح أو فشل العملية التكوينية برمتها.

1.2 . الكفاءة العلمية:

يجمع الكثير من الدارسين والمختصين، على أن المخرجات المحققة من العملية التكوينية في ميدان علوم الإعلام والاتصال، وخاصة خلال العقد الأخير، لم تعد بتلك الجودة والكفاءة اللازمتين، سواء من جانب الأستاذ الذي أضحى أداؤه لا يستجيب للمعايير المطلوبة، بسبب ضعف تكوينه أصلا، وللتسرع الذي شاب عملية توظيفه بسبب طغيان الأعداد الكبيرة للطلبة الملتحقين بهذا التخصص، حيث أفرز هذا الوضع حاجة ملحة للاستعانة بأعداد كبيرة من الأساتذة الجدد، ما أدى ذلك إلى الاهتمام بالكم على حساب الجودة والأهلية والكفاءة، فانعكس ذلك سلبا على دور الأستاذ في عملية التكوين، وتعريض العلاقة أستاذ . طالب إلى الكثير من الاهتزاز وعدم الثقة.

1.1.2. الكفاءة العلمية بالنسبة للأستاذ:

عرف المعجم الوسيط الكفاءة، بأنها: "المماثلة في القوة والشرف، والكفء: القوي القادر على تصريف العمل، وجمعه أكفاء" (مصطفى إبراهيم، 1426هـ، ص791). (6)، كما عرفها خطابية بأنها: "قدرة المعلم على القيام بعمله بمهارة وسرعة وإتقان" (ماجد خطابية، 2002، ص137). (7)، وذكر أيضا: "المعلم الكفء هو من يؤدي دوره بكفاءة عالية ويكون قادراً على توفير المناخ المادي والنفسي والاجتماعي الذي يشجع على التعلم" (ماجد خطابية، 2002، ص138). (8)، بينما يرى جعفر أيوب أن "النجاعة تتعلق بالناحية الكمية والكفاءة بالناحية الكيفية أو النوعية" (وزارة التربية والتعليم السعودية، 1423 هـ، ص62). (9).

. مكونات الكفاءة العلمية للأستاذ:

أورد دليل المفاهيم الإشرافية، مكونات الكفاءة العلمية للأستاذ كالتالي: (وزارة التربية والتعليم السعودية، 1423 هـ، ص62). (10).

. معرفة المنهج (بمعناه الواسع) والمحتوى العلمي للمادة.

. مهارات التدريس، ومراقبة وتقويم ورعاية التعلم الطلابي.

. إدارة الصف والعلاقات الإنسانية في بيئة العمل.

. التأمل والمراجعة والنقد الذاتي.

إننا حينما نتأمل في هذه المعلومات النظرية، نجد أن كثيرا منها لا ينطبق على عدد من الأساتذة الذين يتولون حاليا مهمة تعليم وتكوين الطلبة المتخصصين في مجال علوم الإعلام والاتصال، لطبيعة تكوينهم المتواضع من جهة، وللظروف العامة التي يشتغلون فيها من جهة ثانية، وبخاصة صعوبة التأقلم مع نظام التعليم الجامعي الجديد (LMD)، حيث ظل عدد كبير من الأساتذة يدرّسون بعقلية النظام الكلاسيكي، فضلا عن الأعداد الكبيرة للطلبة الملتحقين بالتخصص، حيث نجد أكثر من 40 طالبا في الفوج، في وقت تتطلب المعايير الحديثة وجود ما لا يزيد عن 15 طالبا فقط في الفوج، وهذا بطبيعة الحال ينعكس سلبا على نوعية الأداء وكفاءة الإنجاز بالنسبة للأستاذ، ما يعرض العملية التكوينية برمتها للاهتزاز والضعف والتراوح.

2.1.2. الكفاءة العلمية بالنسبة للطالب:

أدى ضعف الأستاذ في أداء دوره التعليمي بكفاءة عالية، إلى ضعف مستوى وكفاءة الطالب ذاته، هذا ناهيك عن الكثير من العوامل الموضوعية الأخرى التي ساهمت في تدني المستوى العام لطلبة علوم الإعلام والاتصال، كنقص أو انعدام الوسائل التعليمية والبيداغوجية الحديثة، كالمعدات والأجهزة البيداغوجية من كاميرات واستديوهات وقاعات تحرير، والربط بوكالات أنباء محلية أو أجنبية، وكذا اكتظاظ الأقسام، وطغيان النظري على التطبيقي، ما أرهق الطالب وبعث فيه الملل والشعور بالروتين القاتل، يضاف إلى كل هذا افتقار الكثير من الأقسام والمعاهد والكليات لمكتبات ثرية بالمراجع ذات المستوى النوعي العالي، واقتصار ما هو موجود من الكتب والمراجع على لغة واحدة عادة ما تكون العربية، ما جعل العملية التكوينية ضعيفة، ومخرجاتها تفتقد للكفاءة المطلوبة، وهو ما يتجلى عند التحاق هؤلاء الطلبة بعالم الشغل، حيث سرعان ما يتبين محدودية مستواهم، وتواضع خبرتهم، وقلة كفاءتهم، ما دفع بالكثير من المؤسسات الإعلامية للعزوف عن توظيفهم، والزهد في تشغيلهم، وهو العامل الذي زاد من يأس الطلبة، وعدم الثقة في المستقبل، ما جعلهم غير مهتمين ولا مبالين أثناء فترة دراستهم وتكوينهم.

2.2. . الاهتمام بالجانب النظري والبعد عن الجانب التطبيقي:

لعل من أهم التحديات التي واجهت ومازالت تواجه التكوين الجامعي العالي في ميدان علوم الإعلام والاتصال، هو عدم قدرة الجامعة الجزائرية على الانفتاح على محيطها الاقتصادي والاجتماعي، فظلت قاعات ومدرجات التدريس بعيدة بشكل شبه تام عن الاهتمام بانشغالات وهموم المجتمع، أو السعي لربط أعمالها وحتى أهدافها بمحاولات إيجاد الحلول للكثير من مشكلاته، وانعكس هذا على محتوى البرامج والمواد والمقاييس المدرّسة، حيث تركزت بشكل أساسي على ما هو نظري، وأهملت بالتالي الجانب التطبيقي، الذي يفترض أنه يزود الطالب بالمؤهلات العملية، والكفاءة المهنية التي تسمح له بولوج عالم الشغل وهو مزود بكل الإمكانات التي تؤهله لفرض نفسه عند أول امتحان عملي له.

وفي هذا الإطار، اقترح المشاركون في الملتقى العلمي الدولي حول التكوين في علوم الإعلام والاتصال، **في** اختتام ملتقى نظم بكلية الإعلام والاتصال بجامعة الجزائر 3، في إطار الاحتفال بالذكرى الـ50 لتأسيس أول مدرسة عليا جزائرية للصحافة، التركيز على التكوين الميداني بالتوازي مع النظري من خلال تكثيف التربصات الميدانية لطلبة كليات الإعلام و الاتصال خلال مسارهم الجامعي، وأكدوا **أن** تكثيف الجانب الميداني في التكوين يكون من خلال توفير استديوهات للسمعي البصري و تكثيف التربصات في مختلف وسائل الإعلام وتنظيم دورات تدريبية لفائدة الصحافيين المتربصين، وألحوا في نفس السياق، على ضرورة توفير إطار للتعاون بين كليات الإعلام والاتصال ومختلف وسائل الإعلام الوطنية والدولية، مبرزين من جهة اخرى أهمية تنقيح وتطوير البرامج والمناهج الدراسية والبيداغوجية المعتمدة في ذات الكليات والاستفادة من التطور التكنولوجي ومن نتائج بحوث الدراسات العليا في عملية التكوين العلمي.

إن التكوين الجامعي في الإعلام والاتصال، يحتاج على الدوام لركائز نظرية وأكاديمية بحثية ولمسارات مهنية محترمة للأستاذ المكوّن، الذي لا يمكنه أن يتحدث إلى الطلبة من فراغ، وقد أبانت تجارب عديدة في كليات الصحافة في المشرق العربي عن

اعتماد جل الجامعات وكليات الإعلام المعروفة والعريقة على الطاقات المهنية والصحفية، التي تُملك في مقابل مستوى علمي وجامعي محترم يؤهلها إلى أن تكون ضمن الطواقم البيداغوجية للنشاط الجامعي وخاصة منه التدريس في الجامعة (محمد مرواني، 2018). (11)، وقد أضحى من الضروري وضمن مقتضيات ما يسمى بنظام التكوين الجامعي الجديد (LMD)، الانفتاح أكثر من أي وقت مضى على الطاقات الإعلامية المهنية الخبيرة في شؤون مثلالسمعي البصري، فنيات التحرير الصحفي، والأعمال الأخرى الملحقة بالعمل الصحفي في الإذاعة والتلفزيون وغيرها من الأنشطة ذات الطابع الإعلامي، التي يجب أن يتمكن منها الطالب الجامعي في تخصصات الإعلام والاتصال خلال مشواره الجامعي الذي لا يتجاوز الخمس سنوات (محمد مرواني) (12).

لكن ما هو ملاحظ عندنا، أن عملية التكوين تكتسي في الجانب الغالب طابعا نظريا بحتا، ولا نكاد نجد أعمالا تطبيقية بالقدر الكافي، ما أثر سلبا على كفاءة الطالب واستعداداه النفسي ودافعيته للتعلم، ولهذا من الضروري التعجيل في تأسيس شراكة نوعية في مجال التكوين الإعلامي، ولا يمكن الاستهانة بعدد طلبة الإعلام والاتصال الذين يتخرجون من جامعات مختلفة ولا يجدون آفاقا مهنية واضحة أمامهم، وهم يعانون في بعض الجامعات من غياب تكوين ميداني ومهني نوعي يتماشى وطبيعة المقاييس المدرّسة والمناهج المعتمدة وطرائق العمل الإعلامي التي تغيرت في ضوء ما يسمى بعصر الميديا الجديدة. (محمد مرواني).(13).

3.2 . انفصال الجامعة عن عالم الشغل:

تعاني الجامعة الجزائرية من مشكلة حقيقية على مستوى إيجاد الآليات الفعالة التي تضمن توفير الحد الأدنى من التوافق بين فرص التكوين المتاحة بمختلف أنواعها ومجالاتها، وفرص العثور على مناصب عمل لآلاف المتخرجين من المعاهد والجامعات الموجودة عبر مختلف مناطق الوطن، حيث أدى هذا الاهتزاز الواضح في العلاقة بين التكوين والتشغيل إلى تداعيات علمية ومعرفية وحتى نفسية واجتماعية، أثرت بشكل ملموس على كفاءة التكوين ونوعية المخرجات، ونقصد بها نوعية الطلبة المتخرجين من الجامعة، وبطبيعة الحال المتخرجين بشهادات في علوم الإعلام والاتصال بشكل خاص.

لقد أصبحت الجامعة الجزائرية، ومن ضمنها معاهد وأقسام وكليات علوم الإعلام والاتصال، تضم جيشا من الطلبة الذين يتخرجون سنويا بأعداد كبيرة جدا، ولكن في مقابل عروض ضعيفة من قبل سوق الشغل، الذي يعجز عن توفير وظائف كافية، ما انعكس سلبا على أداء واستعداد ودافعية وكفاءة الطالب الجزائري، ضف إلى هذا، أن عددا كبيرا جدا من هؤلاء الطلبة يتبعون مسارا أكاديميا بموجب نظام الLMD، ويرفضون التوجه للمسار المهني، بسبب عجز سوق الشغل عن استيعاب كافة

المتخرجين، نتيجة الوضع الاقتصادي المتأزم، وعدم تحقيق نسبة النمو اللازمة التي تتيح الفرصة لخلق الآلاف من مناصب العمل، ما أدى إلى انتشار البطالة وسط الشباب عموما، وفئة خريجي الجامعات هم الأكثر عرضة لهذه المشكلة.

خلص تحقيق أجراه الديوان الوطني للإحصائيات خلال شهري أفريل وسبتمبر 2016، أن النسبة العامة للبطالة في الجزائر قدرت بـ10.06%، وهو ما يعادل 1.214 مليون عاطل عن العمل، وتنتشر البطالة حسب ذات التحقيق، بين أوساط الشباب بنسبة 25%، وبين أوساط خريجي الجامعات والمعاهد بنسبة 16%، كما أثبتت الإحصائيات أن حوالي 45% من قروض البرامج الموجهة للشباب، لم تحقق النجاح المرجو، ولم تسدد رغم معدل الفائدة المخفض والمدعوم، وهو الوضع الذي ساهم بشكل كبير في حالة العزوف واللامبالاة واللااهتمام خلال مسار الدراسة من قبل الطلبة الجامعيين، ومن بينهم المتخرجين من ميدان علوم الإعلام والاتصال، ما أثر سلبا على أدائهم وتحصيلهم وكفاءتهم، طالما أن الإحساس باليأس من المستقبل، وعدم الثقة في إيجاد منصب عمل قد حد من إرادتهم ودافعيتهم نحول التعلم والتكوين النوعي والجاد.

4.2 . الظروف السوسيو . اقتصادية التي تعيشها المؤسسات الإعلامية حاليا نتيجة الأزمة:

تشكل المؤسسات الإعلامية الرافد الأساسي لاستيعاب وتوظيف خريجي علوم الإعلام والاتصال، فهي التي توفر فرص العمل، وتخلق مناصب الشغل، ما يدفع الخريجين إلى التنافس والجدية والتركيز في مسارهم الدراسي، أملا في الظفر بوظيفة في مجال تخصصهم، معتمدين في ذلك على كفاءتهم المحصلّة، ومؤهلاتهم المكتسبة، وخبرتهم المهنية التي تخرجوا بها حتى ولو كان جزء كبيرا منها نظريا، ولذلك كلما كانت هذه المؤسسات ناجحة وقادرة على استيعاب أكبر عدد ممكن من الخريجين، كان أثر ذلك على نوعية التكوين وكفاءته وجدارته واضحة، وعلى العكس، كلما كانت هذه المؤسسات عاجزة وفاشلة نتيجة لأسباب متعددة، كلما أثر ذلك سلبا على نوعية التكوين ومخرجاته.

ومع الأسف الشديد، فإن واقع المؤسسات الإعلامية الوطنية حاليا يعيش أوضاعا متأزمة على مستوى المردودية والنجاعة الاقتصادية، فالأزمة المالية التي ضربت الجزائر منذ سنة 2014، عصفت باستقرار ومستقبل ووجود الكثير من الوسائل الإعلامية، مع ما نتج عن ذلك من إغلاق البعض، وصعوبة أوضاع البعض الآخر، وهو ما ترك آثاره النفسية على منتسبي الجامعة من الطلبة، الذين أدركوا بأن فرص إيجاد مناصب شغل عند تخرجهم قد تضاءلت إن لم تكن انعدمت أصلا، كيف لا والصحفيون المهنيون والمحترفون قد وجد الكثير منهم أنفسهم فريسة البطالة والتشرد وفقدان العمل.

في 2 أوت 2016 كتب وزير الإعلام السابق، حميد قرين، على حسابه الشخصي على "تويتر": "الصحافة المكتوبة: إحصاءات إلى حدود السداسي الأول لسنة 2016: 21 صحيفة يومية يتجاوز سحبها أو يساوي 10.000 نسخة يوميا" (المرصد العربي للصحافة، 2016).(14).

كما سجّلت المؤسسة الفرنسية (ACPM-OJD) المختصة بقياس عدد قرّاء الصحف أنه خلال سنة 2015، سجلت جريدة "الوطن" تراجعا في مبيعاتها بنسبة 13.20% مقارنة مع سنة 2014، بمعدل سحب يومي بلغ 95346 نسخة لكل عدد، في حين أنّ السحب المتوسط في السنة كان يمثل 122569 نسخة"، والجدول رقم (01) يبين ذلك بالأرقام (المرصد العربي للصحافة). (15).

الشكل 1: يوضح نسبة تراجع مبيعات صحيفة الوطن

المصدر: المؤسسة الفرنسية (ACPM-OJD)

وبالنسبة للجرائد الناطقة بالعربية . حسب المؤسسة دائما .، فان آخر المعطيات المتوفرة تعود إلى سنة 2014، حيث عرفت جريدة "الشروق"(15) تراجعا في السحب اليومي بنسبة 17.83% وذلك بتوزيع إجمالي يومي بلغ 350551 نسخة سنة 2014 مقابل603 426 سنة 2013، وهو عدد بعيد عن السحب القياسي لمليون نسخة سنة 2010، كما هو مبين في الجدول رقم (02).

الشكل 2: يوضح نسبة تراجع السحب لجريدة الشروق

المصدر: المؤسسة الفرنسية (ACPM-OJD)

أما بالنسبة لجريدة "النهار" (المرصد العربي للصحافة). (16)،التي أغلقت فيما بعد، فان السحب بلغ 231555 سنة 2014 مقابل 286557 سنة 2013، أي بنسبة تراجع تساوي 19.09%، وهو ما يبينه الجدول رقم (03).

الشكل 3: يوضح نسبة تراجع السحب لجريدة النهار

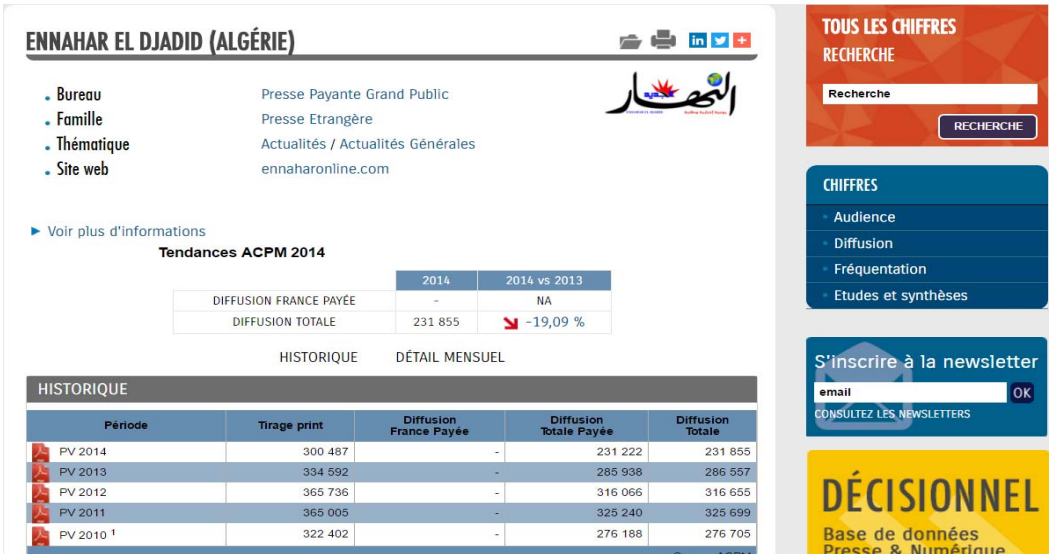

المصدر: المؤسسة الفرنسية (ACPM-OJD)

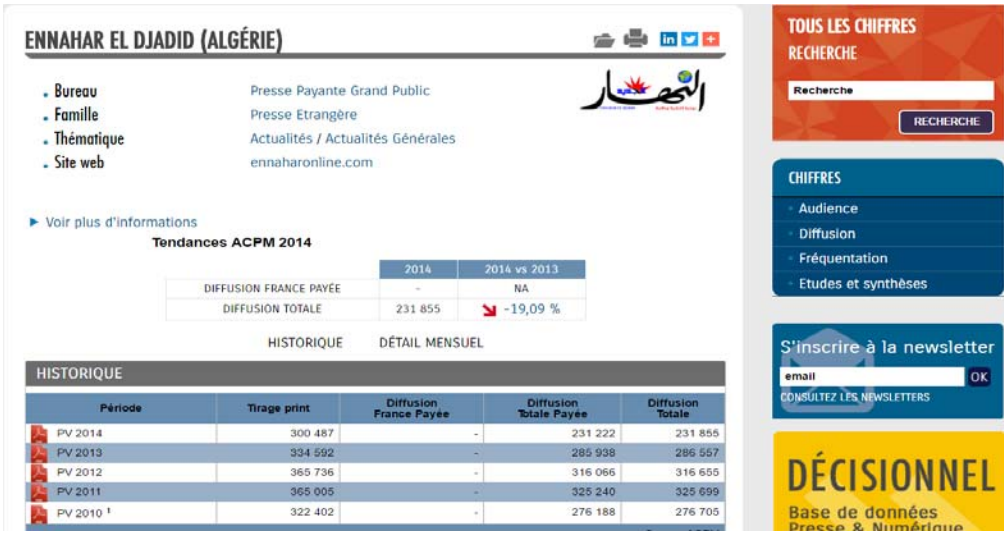

كذلك، كشف وزير الاتصال السابق، جمال كعوان، عن أن الأزمة الاقتصادية أجبرت 60 صحيفة جزائرية عن التوقف، من بينها 26 جريدة يومية و34 أسبوعية منذ 2014، من أصل 140 صحيفة تنشط في مجال الصحافة المكتوبة بالجزائر (يونس بورنان، 2017).(17)، ويعود هذا التوقف بالأساس بحسب تصريحات سابقة لمسؤولين جزائريين، إلى انخفاض الدعم الذي تقدمه الدولة لهذه الصحف على شكل إعلانات، والتي انخفضت بنسبة 65 % ما بين سنتي 2015 و2016، بفعل التراجع الحاد في أسعار النفط (يونس بورنان، 2017). (18).

إن هذا الواقع الأليم الذي عاشته مختلف الوسائل الإعلامية، ترك أولا أثره السلبي على منتسبي المهنة من صحفيين محترفين، فقد اضطر عدد معتبر منهم للخروج للبطالة، وأما من كان لهم الحظ في الاستمرار في ممارسة المهنة، فقد ساءت أوضاعهم الاجتماعية، بدء بفقدانهم الحماية الاجتماعية من تأمين وحقوق، ثم تدنت أجورهم بشكل لافت، فقد أشار تقرير أصدرته "شبكة الصحافيين الدوليين"، سنة 2018، حول أجور الصحافيّين في البلدان العربية بين عامي 2007 و2017، إلى أن دخل الصحافي الجزائري هو الأضعف في شمال أفريقيا، حيثُ يبدأ بقرابة 150 دولارا شهرياً، ويصل، في بعض الحالات، إلى قرابة 800 دولارٍ أميركي (محمد علاوة حاجي، 2018) (19)، وحسب الصحافي في موقع "كلّ شيء عن الجزائر"، محمد إيوانوغان، فإن وضع الصحافيين الجزائريين الاجتماعي هو "الأسوأ بين البلدان العربية، باستثناء تلك التي تعيش حالة حرب، فراتب الصحافي المغربي، مثلاً، يفوق راتب نظيره في الجزائر عشرات المرات" (محمد علاوة حاجي، 2018) .(20).

هذا عن أصحاب المهنة، أما عن تأثير هذا الوضع الصعب الذي تعيشه وسائل الإعلام الوطنية، على الكفاءة العلمية والمعرفية للطالب في ميدان علوم الإعلام والاتصال، بما أضحى يمثل تحديا حقيقيا للعملية التكوينية برمتها، فيمكن أن نلمسه في العنصرين التاليين: نقص الدافعية والتحفيز، وغياب الاستعداد النفسي والذهني للتعلم والتكوين الجدي والناجع.

أ . نقص الدافعية والتحفيز:

يؤكد علماء النفس التربوي على ضرورة أن يكون المتعلم (الطالب)، متمتعا بأقصى دافعية ممكنة، ليضمن تحصيله العلمي بكفاءة عالية، وفعالية مطلوبة، ورغبة شديدة، ولكي تتحقق هذه الدافعية لدى الطالب، يجب أن تعمل الجامعة على توفير كل ما من شأنه أن يساهم في خلق هذه الدافعية، ولعل أهم ما تقوم به في هذا الإطار، ربط العملية التكوينية بالممارسة الميدانية، من خلال توقيع اتفاقيات تعاون وشراكة مع مؤسسات إعلامية، يكون من بين أهدافها ضمان التربصات الميدانية على مستوى هذه المؤسسات، إبرام عقود إن أمكن لتوظيف عدد من الطلبة المتفوقين والمميزين، وإغراء الشريك المهني بجودة التعليم والمخرجات المترتبة عنه.

إن نجاح الجامعة في تحقيق هذه الأهداف، يشكل حافزا ماديا ومعنويا كبيرا للطالب الجامعي ليقبل على التعلم والتدريس بإرادة واهتمام وتركيز، بما يعود بالفائدة على كفاءته وأهليته، لكن حينما يشاهد الواقع المرير للمؤسسات الإعلامية كما سبق ذكره، ويتلمّس بيده أوجه العجز والقصور من جانب مؤسسته الجامعية في إبرام الاتفاقيات وضمان التربصات الميدانية لأسباب أحيانا موضوعية، فإن هذه الدافعية تقل، وبالتالي تنعكس سلبا على أدائه التعليمي، فيأخذ هذا الأداء مظاهر العزوف واللامبالاة واليأس وعدم الثقة في المستقبل، وهذا ما نلاحظه على طلبتنا في الوقت الحالي، ولسان حالهم يردد دائما: "هل هناك مؤسسات إعلامية أصلا حتى أضمن العثور على وظيفة مستقبلا، فلماذا أدرس إذن؟".

ب . غياب الاستعداد:

إن طغيان حالة الشعور بالإحباط البادية على معظم طلبتنا، والعزوف شبه الكلي عن حضور المحاضرات، هي أحد إفرازات الأزمة الاقتصادية والاجتماعية العنيفة التي يشهدها المجتمع الجزائري لعقود طويلة، والتي كان من نتائجها تضاؤل فرص التشغيل، وعجز سوق العمل عن استيعاب الآلاف من الخريجين سنويا، هذا على المستوى العام، وحينما نريد أن نسقط هذا الوضع على واقع التعليم الجامعي في مجال علوم الإعلام والاتصال، فإن الصورة تبدو أوضح، فعشرات المؤسسات الإعلامية تغلق أبوابها سنويا، ومئات الصحفيين المحترفين يفقدون مناصب عملهم، ومن كان له الحظ ويحظى بمنصب عمل، فعادة ما يكون بلا تأمين ولا حماية وبأجر شهري متواضع جدا، بل هناك من لا يقبض أجرته الشهرية إلا بتأخر يصل في بعض الأحيان إلى ستة أشهر، هذا الوضع أثر سلبا على الطلبة الجامعيين، وخلق لديهم الشعور بفقدان الاستعداد النفس والذهني للإقبال على الدراسة والتكوين الجيد، فانعكس ذلك سلبا على كفاءتهم العلمية والمعرفية، وبعث فيهم عدم الثقة في الغد، فسوق العمل . حسبهم . أعجز من أن يستقطب كل هذه الأعداد الكبيرة من المتكونين في مجال الصحافة والإعلام والاتصال.

. خاتمة:

لقد عانى التكوين الجامعي العالي في ميدان علوم الإعلام والاتصال، ومنذ سنوات عديدة، من تحديات كبيرة، وصعوبات جدية، وإكراهات موضوعية، تمحورت بالأساس حول فلسفة التكوين ذاتها، من برامج ومناهج وأهداف وطرق تدريس وغيرها، ومن واقع اجتماعي واقتصادي أثر سلبا على المصدر الأساسي لاستيعاب وتوظيف الآلاف من خريجي هذا التخصص العلمي الهام، ونعني به وسائل الإعلام المختلفة، ولذلك ونحن ننهي هذه الورقة نتقدم بجملة من التوصيات أو المقترحات لتجاوز هذه الإشكالية الكبيرة ذات العلاقة المباشرة بمسألة الموازنة بين منظومتي التكوين والتشغيل في مجال علوم الإعلام والاتصال، فنؤكد على ما يلي:

*تطوير منظومة التكوين الجامعي من خلال إعادة تكييف البرامج والمواد المدرّسة، بحيث تأخذ طابعا أكثر تخصصي، بمعنى التقليل قدر الإمكان من المواد التي ليس لها علاقة مباشرة بميدان علوم الإعلام والاتصال، خاصة بالنسبة للسنتين الأولى والثانية ليسانس.

*تكييف البرنامج الدراسي وفق اعتبارات مهنية عملية، بمعنى أن ينحو التكوين الجامعي منحى تطبيقيا ميدانيا، بدل الإفراط فيما هو نظري بحت.

* ربط الجامعة عموما والتخصص بشكل خاص بالمحيط الاجتماعي والاقتصادي، من خلال إعادة تكييف مشاريع البحث، ومواضيع أطروحات الدكتوراه، لتصبح تلامس الجوانب ذات العلاقة بالمؤسسات الإعلامية والوسط المهني.

*توقيع اتفاقيات تعاون وشراكة مع مؤسسات إعلامية وطنية ودولية، لتوفير فرص التكوين الميداني للطلبة، بقصد اكتساب خبرة أكثر، استعدادا لولج عالم الشغل مستقبلا.

*استبدال مذكرة التخرج بإنجاز أعمال ميدانية، كروبورتاج أو فيلم وثائقي وغيرها من الأعمال التطبيقية والميدانية.

* التعجيل في بعث ماستر مهني متخصص أو أكثر في مجال علوم الإعلام والاتصال، بدل الاستمرار في عروض التكوين الحالية ذات الطابع الأكاديمي.

5. قائمة المراجع:

* **المؤلفات:**

(1) بن نونة نادية: العلاقة بين التكوين الإعلامي الأكاديمي وتشكيل الرؤية النقدية لدى طلبة علوم الإعلام والاتصال، أطروحة دكتوراه، (قسم علوم الإعلام والإتصال، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم- 2018).

(2) حسن بهلول: سياسة تخطيط التنمية وإعادة تنظيم مسارها في الجزائر، (ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1999، الجزء الأول)، ص 229.

(3) مصطفى إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، (دار الدعوة، 1426هـ، ط4)، ص 791

(4) ماجد خطابية: التربية العملية الأسس النظرية وتطبيقاتها، (دار الشروق، عمان، الأردن، 2002م،ط1)

(5) وزارة التربية والتعليم السعودية: دليل المفاهيم الإشرافية، الرياض، 1423هـ، ط1

- **المقالات:**

(6) أحمد حمدي: تطور تعليم علوم الإعلام والاتصال في الجزائر، مقال نشر في 7 أوت 2015 على الموقع: http://diae.net/ahmedhamdi.net

(7) **محمد مرواني**: تخصصات الإعلام الجديدة وأهمية التكوين الميداني، مقال صادر بجريدة التحرير، بتاريخ 22 جويلية 2018

(8) المرصد العربي للصحافة: **مقال بعنوان** "الصحافة الجزائرية.. الأرقام في تراجع"، صادر في 21 نوفمبر 2016 .**مترجم عن مقال نشر باللغة الفرنسية في الجريدة الالكترونية «Tout sur l'Algérie» . مأخوذة من الرابط التالي**: https://ajo-ar.org

(9) يونس بورنان: "الجزائر.. الأزمة الاقتصادية تجبر 60 صحيفة على التوقف"، مقال صادر بجريدة "العين" بتاريخ الثلاثاء 10 أكتوبر 2017

(10) محمد علاوة حاجي: "تراجع الصحافة الورقية الجزائرية... ابحث عن الإعلان"، مقال صادر بجريدة "العربي الجديد" بتاريخ 7 ماي 2018 الرابط: https://www.alaraby.co.uk/medianews

- **المداخلات:**

(11) ورقة بحثية لمؤتمر حول "تعليمية علوم الإعلام والاتصال في الجامعة الجزائرية، الواقع، التحديات والآفاق